الفينومينولوجيا والفيزياء الكلاسيكية
هوسرل ومبدأ ترييض الطبيعة

تاريخ الارسال:30-03-2018	تاريخ القبول: 06-08-2018	تاريخ النشر:15-10-2018

(ب)بن عبد الله حسين(*): جامعة تلمسان –الجزائر-
houbordjarima1@gmail.com

الملخص :

إن هذه الدراسة ستعالج إحدى العناصر التي اهتم بها هوسرل في كتابه المعنون :"أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندتالية"حيث يعالج إشكالية أساسية في تاريخ العلم والفلسفة وهي مشكلة الأزمة التي تعيشها العقلانية ،يحاول هوسرل تحليل هذه الأزمة التي يمر بها العقل من خلال العودة إلى غاليلي و الفيزياء الكلاسيكية.

summary:

This study address one of Husserl's elements in his book "The Crisis of European Science and Transcendental Phenomenology", which deals with a fundamental problem in the history of science and philosophy, the problem of the experienced rationality crisis. Husserl attempts to analyze this mind’s crisis by returning to Galilei And classical physics.

الكلمات المفتاحية :

الفينومينولوجيا ، الترييض ، الموضوعية ، التقنية ،المنهج ، العقلانية ، الأزمة، الأمثلة ، الإستقراء .

يرجع هوسرل أسباب التحول العلمي الذي قامت عليه النـزعة الموضوعية إلى عامل رئيسي يتمثل في صياغة الطبيعة صياغة رياضية. من هنا إهتمامه الخاص بالفيزياء الغاليلية. فمع هذه الأخيرة ستخضع الطبيعة لقوانين الرياضيات متخذة طابعا مثاليا. "الترييض غير المباشر للعالم، الذي يظهر تدريجيا كواقع منهجي لعالم الحدس، ينتج صيغا رقمية عامة، التي إن وجدت، يمكن أن تساعد في التطبيق لإنجاز التموضع الوقائعي للحالات المفردة التي يجب أن تدرج تحتها، وتظهر على شكل صيغ معبرة عن الروابط السببية العام، لـ "قوانين الطبيعة"، قوانين التبعية الواقعية، كشكل التبعية الديناميكية للأعداد".[1] .

---

* – بن عبد الله حسين طالب في السنة الثالثة دكتوراه علوم مهتم بالبحث في فينومينولوجيا هوسرل وخاصة علاقتها مع الابستيمولوجيا شاركت في العديد من الملتقيات الدولية والوطنية.

[1] - Edmund Husserl, La crise des sciences Européennes et la phénoménologie transcendantale, Traduit par Gérard Granel, France : Edition Gallimard, 1976, p 48.

*- **جاليليو**1642 -1564 كان فيلسوف و فيزيائى و لعب دور فى الثورة العلمية من انجازاته تحسينات على التلسكوب و الملاحظات الفلكية المستمرة و تأييده للكوبرنيكوسيه. من أهم مؤلفاته "المبادئ الرياضية لفلسفة الطبيعة"

إن تجربتنا اليومية بعيدة كل البعد عن فكرة سببية شاملة تضم في كليتها التغيرات في جانب الشكل المكاني وفي جانب الكيفيات الحسية. إن الخطورة الحاسمة التي قام بها جاليلي* على طريق تأسيس الفيزياء الرياضية هي بالضبط هذا الإفتراض الجرئ القاضي بوجود سببية شاملة تضم جانبي العالم معا. وهذا جديد جدة مطلقة

التحاليل الهوسرلية حول الهندسة حدّدت وهذا منذ سنة 1890 من خلال إرادة تكثيف في تفكير نسقي من جهة صفاء التمييز بين الفضاء كمفهوم حدسي والفضاء كمفهوم هندسي، ومن جهة أخرى المنظور المميز الوراثي (الجنيالوجي) الذي ينوي إظهار ما الذي يربط المفاهيم الهندسية بالتجربة. أعتقد أنّ هذه الثنائية المتلازمة في وضعية هوسرل (التأملات الموضوعة في الأزمة حول الهندسة)، هي السبب الذي جعلها مهمة جدا وأتمنى دعم بأنّ إمكانية قراءة وفهم هذه الصفحات لديه شروط كونه هو الملجئ لأيّ قارئ ، والذي يحاول أن يخفف التمييز وأن يذوب الخيط الرابط الذي يوحد هاتين اللحظتين الخاصتين في الخطاب النظري لهوسرل[2].

لنرد الإنتباه قبل كلّ شيء إلى التمييز بين الأشكال في الفضاء كأشياء للمشاهدة (الملاحظة) والأشكال الهندسية المميزة بلغة الأكسيوم وبتعريفات هندسية. في هذه النقطة كان هوسرل واضحا، التكلم عن أصول الهندسة وتكوّنها لا يعود إلى نسيان أنّ الهندسة لم تعالج أبدا الأشكال الملاحظة (المرئية) وبأنّ الأشكال الهندسية لا تستطيع أن تكون موضوعة في أيّة علاقة للتواصل مع الأشكال (المرئية). الهندسة ولدت مع إقليدس لأنه هجر البعد الحدسي للفضاء وحاول جاهدا القول بألفاظ ما هي الأشكال المبدلة للطابع الفضاء المرئي. التحديد المثالي للإشارات وإنتمائها الكامل إلى الفضاء المنطقي العقلي وإلى الشبكة السفلية التي تكونه وتشيّده[3]. الأشكال الهندسية هي أشكال يجب أن تكون مبررة في داخل الإطار اللغوي المشكل والمكوّن من الأكسيوم ومن التعريفات، في هذه النقطة هوسرل ليس لديه أيّ معارضة، في التأملات الموجودة في الملحق الثالث والمكرسة للإغراء اللغوي أو (السحر اللغوي) وإلى الميل الذي بالنسبة إليه مرجع الفكر مصنفين الإعتبارات المثالية للإشارات الهندسية إشارات مفصلة في كل الأشكال المنطقية للحكم[4].

عظمة إقليدس* تظهر بالتدقيق هنا: الإقتراح الذي يخصّ اللعبة اللغوية" والجديدة حقيقة مقارنة في لغة الحياة اليومية، لا تبتدئ في أيّ مكان وفي كل مكان لكن على العكس

[2]- Paolo SPINICCI, « Forme Géométrique et Formes Intuitives : Considération sur l'origine de la Géométrie de Hursserl », Le cahier d'histoire de la Philosophie, Husserl sous la direction de Jouslyn Benoist p150
3-ibid.p15

[4]- ibid , p150

***أقليدس** ولد 300 قبل الميلاد، عالم رياضيات يوناني، بلقب **بأبي الهندسة عرف** .بكتابه *العناصر* وهو الكتاب الأكثر تأثيرا في تاريخ الرياضيات، وقد استخدم هذا الكتاب في تدريس الرياضيات (وخصوصا الهندسة (منذ بدايات نشره قديما حتى نهاية القرن ال19 وبداية القرن ال20

يجب أن تعرض بوضوح إنطلاقاتها الحقيقية وقواعدها تحتوي على تبريرات مطلقة. الهندسة تبدأ عندما تنسى ما هي الأشياء من وجهة نظر مشاهدة (مرئية).... التعريفات الإقليدية تقود حسب طريق محدد إلى ما وراء الفضاء المشاهد (المرئي)، من هنا المعنى ذاته لمشروع إقليدي، بالمقابل إذا كانت الأشياء كذلك كيف نواجه بطريقة ملمحة فكرة أصول الهندسة. الإجابة عن هذه الإشكالية تبدو بتمييز إشارتان مختلفتان للبدئ المطلق المتعلق بالهندسة الأولى قد تعرضنا لها عندما عرف إقليدس المفاهيم الهندسية[5].

إنه من الممكن إذن أن نستخرج خلاصة عامة التي تسمح لنا بتبني الموقف الضد أفلاطوني في تأملات هوسرل حول أصول الهندسة؛ في العمق الذي يميز وجهة نظر أفلاطون هي الطريقة التي من خلالها تكون ضرورة البناء المطلق للهندسة تتقاطع مع تأكيدات من نوع مألوف الإعتراف بأنّ الهندسة لديها بدئ مطلق يعود ليدعم بأنه ليس في أيّ طريقة ممكنة للتأكد من شكله ولطرح أسئلة على أنفسنا حول الأسباب التي قادت التأملات الهندسية لأخذ قراراتها النظرية وليس شيئا آخر، سواء تعلق باتفاقية أم لا .يجب فهم التعريفات والمسلمات كمجموع من المفاهيم لديها وجود حقيقي في السماء الشفافة للمنطق. في كل حالة الفيلسوف مستدعى ليأخذ موقف من الهندسة وتأكيداتها ، وبالمقابل وضع إشكالية الأصل في الهندسة يعود من جهة الإعتراف بما يعطي من جديد عندما يكون الرياضي متوضع في الحقل ولكن هذا يعني من جهة أخرى البحث عن الإشكاليات التي ينوي الرد عليها من خلال تطبيقه، البدئ المطلق للهندسة يقيم أيضا في جذوره على الإطار التجريبي والفعل(praxis).[6]

إن حديث هوسرل عن غاليلي ليس حديثا عن شخص بعينه، بل هو حديث عن تحول ثقافي - تاريخي شرع في التبلور منذ العصر الحديث هذا الذي جعل هوسرل يعتبر غاليلي أكبر "مكتشف" للحداثة، العبقري الذي أنجز اكتشاف الفيزياء والطبيعة بالمعنى الفيزيائي، وبهذا الاكتشاف لطبيعة الرياضيات يفتح غاليلي الطريق أمام المكتشفين والاكتشافات العديدة في الفيزياء " ويكتشف، بالمقابل السببية الشاملة لعالم الحس (باعتباره شكلا غير متغير)، الذي من هنا يدعي وبدون إضافة "قانون السببية"، "الصيغة القبلية" للعالم "الحقيقي" (المؤمثل والمريّض)، "قانون المساواة الدقيقة"، الذي من خلاله كل حوادث "الطبيعة" (المؤمثلة) يجب أن تخضع للقوانين الدقيقة".[7]

كما يضع هوسرل "غاليلي" أصلا للروح الحديثة المهددة بالخطر، ويعطي أهمية كبيرة في تحليلاته لدراسة سذاجة غاليلي لإيضاح المعنى الحقيقي للعلم. ومبادرة غاليلي تخطّ حسب هوسرل، شهادة ميلاد لأزمة العلوم والفلسفة لأنها تفتح الباب أمام موضوعانية تجعل من الطبيعة المريضة وجودا في ذاته Etre en soi.إن النموذج الذي سيلهم جاليلي سعيه نحو إقامة معرفة دقيقة وموضوعية بالطبيعة هو نموذج الهندسة. فإعجاب جاليلي بالنجاحات النظرية والتطبيقية للهندسة جعله يعتقد بأنه يمكن الحصول على معرفة دقيقة

[5]- Paolo SPINICCI , « Forme Géométrique et Formes Intuitives : Considération sur l'origine de la Géométrie de Hursserl » ,ibid , p159

6– ibid ,p161.162

[7] - Husserl, E : La Crise des sciences,ibid. p 61.

وموضوعية بالأجسام الطبيعية، إذا طبقنا عليها نفس المنهج الذي تطبقه الهندسة في تحديد الأشكال المكانية. هذا الاعتقاد هو الذي سيوجه جاليلي ويقوده نحو فكرة الصياغة الرياضية للطبيعة. الأمثلة: "التي تقودنا إلى الفضاء الدقيق للهندسة، إلى الأزمنة الدقيقة للفيزياء، على قوانين السببية الدقيقة، التي تظهر عالم تجربتنا كأنه محدد في ذاته، والذي هو الآخر نتيجة لبدء تنفيذ مناهج المعرفة، نتيجة مؤسسة على معطيات سابقة عن تجربتنا الآنية".[8]

الهندسة النظرية فقد تمكنت من تجاوز التصورات الذاتية-النسبية للأشكال الكافية وإقامة معرفة دقيقة بها. وهذا بالضبط هو ما يطمح إليه جاليلي، ولكن ليس فقط بالنسبة للأشكال المكانية، بل بالنسبة للأجسام والظواهر الطبيعية في وجودها المشخص. والسؤال الآن كيف تبلغ هذه الأمثلة إلى التمام انطلاقا من معطيات التجربة الآنية، معطيات مرفولوجية مدركة جوهريا كمبهمات غير دقيقة؟ وهكذا، فإنّ إنسان الحسّ المشترك، الذي يأتي قبل المهندس " لديه مسبقا أشكال فضائية- مؤقتة غير دقيقة، من أنماط مورفولوجية إلى جواهر مبهمة يمكن أن تعطي مكانا لعلم وصفي ما قبل- هندسي".[9]

إن الأشكال المكانية تعطانا في حياتنا اليومية هي الأخرى بكيفية نسبية-ذاتية. في التجربة اليومية لا وجود لأشكال تامة الدقة، بل كل شكل يعطانا بكيفية فضفاضة. ومع أنّ هوسرل اعتنى بالتمييز بين المعارف الاستقرائية الاعتيادية اليومية والاستقراءات العلمية الممنهجة، وهذا حسب (هوسرل) عبور غير مشروح، من الاستقراء الطبيعي إلى الاستقراء العلمين يوجد في أصل ضياع المعنى الحقيقي للموضوعيات المثالية الهندسية.

والاستقراء الخاص بالمنهج العلمي يبيح التوقعات للأحداث المحسوسة لعالم الحدس، هذه الحوادث غير الموجودة، أو التي ليست معطاة بعد حقيقة. هذا التوقعات الممنهجة تتجاوز كل عملية التنبؤات اليومية المعتادة ، وقدرته الإجرائية تظهر في الارتفاع إلى ما لا نهاية: إنها صوب أشكال مثالية محدودة.[10]

بهذه الطريقة تتم الاستعانة بالنمط الحسّي في أساس الهندسة التي هي في طور التأليف. وبعد ذلك، يتجه إلى الخدمة أو المساعدة التوضيحية للنشاط الهندسي الذي يخترقه باتجاه المثالية الصرفة. ونجد أنّ دريدا «Derrida, Jacques» (1930م-2004/10/09م) يعطينا هنا تمييزا في مستوى: " غير أنّ الأسس ليسوا كذلك (...) إنهم دائما "فكرا صرفا"، والصفة الافتتاحية للفعل المؤمثل، تكمن في الحرية الجذرية الثائرة التي تظهره، والانقطاع النهائي الذي ينتزعه من شروطه السابقة، وكلّ هذا يتوارى عن وصف جينالوجي أصيل".[11]

[8]- Husserl, E : Expérience et Jugement, Trad. Denise Souche- Dagues, P.U.F. Paris, 1970, 1ére Edi. Collection Epiméthée, § 10, p 50.
[9]- Husserl, E : Expérience et Jugement, ibid, p. 131.
10- Husserl, E : La Crise des sciences, ibid, p 59-60.
[11]- Husserl, E : l'Origine de la Géométrie, Trad. & Intro. Derrida, Jacques, P.U.F, Paris, 1990, 3éme Ed. Collection Epiméthéer, p. 145-146.

إن الهندسة لا تهتم بالأجسام الطبيعية في وجودها المشخص، بل فقط بجانب مجرد منها، هو جانب إمتدادها المكاني. وقد تمكنت الهندسة بالفعل من تحديد هذا الجانب ودراسته بكيفية موضوعية ودقيقة، ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا بأن الإمتداد المكاني، أي جانب الشكل، لا يستنفذ وجود الأجسام الطبيعية بكامله " وفي اللحظة التي أعطى فيها هوسرل إلى عالم الثقافة ما قبل- العلمية كشروط لأصل الهندسة، فغياب كل وصف حسي للأفعال المؤسسة لا يبهرنا ولا يخذلنا. وهذه الشروط واجبة، غير أنها كافية (...) إننا هنا إذن، في مرحلة أخيرة، أمام عملية مؤمثلة للنشاط الذي لم يدرس لذاته، وشروطه ليست كائنة، لأن الأمر يتعلق بعملية تشيدية أصلا".[12]

يسعى أردلان جمال في مقاله المعنون" نقد الموضوعية أو في مسالة التقنية بين هيدجر و هوسرل"إلى توضيح نقد هوسرل وهيدجر للعلوم الوضعية وكشف العلاقة التي تجمع بينها وبين الموضوعية والتقنية.« ينبغي على العكس أن نرى في هذا النقد مؤشرا لمعنى تاريخي عميق بدأ الوعي به منذ هوسرل ثم مع هيدجر قبل أن يتخذ وضعا آخر مع بعض ممثلي الفلسفة التحليلية. وعلى الرغم من أن السياق الذي ستناقش فيه النـزعة الموضوعية سيتباين نسبيا بين هوسرل وهيدجر، إلا أن ثمة قواسم مشتركة ستظل ثابتة بينهما»[13].

يقدم هوسرل في مؤلفه الأخير تشخيصا لأزمة العلوم والفلسفة .يقصد هوسرل بالأزمة أزمة هذه العلوم في علاقتها مع الإنسان ومع عالم حياته اليومية هذه الوضعية التي تعرفها الفلسفة والعلوم ترجع إلى سيادة النزعة الموضوعية التي تجعل من علم الطبيعة الرياضي نموذجا للعلم. « في حين يندرج نقد هذه النزعة لدى هيدجر *ضمن الترابط الذي سيقوم منذ مطلع العصر الحديث بين مجال الذاتية ومجال الموضوعية ؛ ويؤخذ هذا الترابط في مجمله داخل تاريخ حقيقة الوجود لكن بين التأويل الذي يصوغه هوسرل وذاك الذي يتقدم به هيدجر، هناك مسألة التقنية التي تعد وحدة مشتركة في نقدهما للنـزعة الموضوعية»[14]. ولابد أن أردلان جمال يؤكد على مصطلح "نقد الموضوعية" ويعتبره مرادفا لمصطلح "نقد الوضعية" وهو ما درج عليه هوسرل في كثير من الأحيان نظرا للعلاقة القوية بينهما «ولعل وقوفنا بشيء من التفصيل عند الدور الذي لعبته الرياضيات،كفيل بتوضيح بعض الجوانب المظلمة في النـزعة الموضوعية وفي نظرية التقنية. فثمة، على ما يبدو، ترابط قوي في نظر هيدجر بين الذاتية والموضوعية والرياضيات : إن المكانة الإيبستمولوجية التي حظيت بـها الرياضيات عند ديكارت لا تعكس في الواقع سوى الرغبة في تأسيس المعرفة

---

[12]- ibid, p. 144.

*-مارتن هايدغر بالألمانيةMartin Heidegger :، فيلسوف ألماني(1976 1889) ، ولد جنوب ألمانيا، درس فى جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسس الظاهريات، ثم أصبح أستاذاً فيها عام .1928 وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل. ومن أبرز مؤلفاته :الوجود والزمان (1927) ؛ دروب مُوصَدة (1950) ؛ ما الذي يُسَمَّى فكراً (1954) ؛ المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا(1961) ؛ نداء الحقيقة؛ في ماهية الحرية الإنسانية (1982) ؛ نيتشه.(1983)

[13]- أردلان جمال' نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل وهيدجر
http://www.aljabriabed.net/n04_08ardalan.htm'ص1

[14] - المرجع نفسه ،ص 1

على مبدأ الذاتية ووضع ركائز فلسفة الكوجيطو»[15] لابد أن هذه العلاقة بين الرياضيات وفلسفة الذاتية قد تبدو غريبة ، لكن الغوص في أعماق دلالة الرياضيات وفي مفهوم " الرياضي" سيجعل الأمر يتضح جيدا« تمثل الرياضيات حسب هيدجر أعلى مظهر لسيطرة النـزعة الموضوعية. لكن فهم أبعاد هذه الملاحظة يتطلب منا الرجوع أولا إلى المعنى الأصيل الذي أعطاه الإغريق لمفهوم "الرياضي" ، فحيثما تحدثنا مع هؤلاء عن "الرياضي" إلا وتطلب الأمر أن نفترض معرفة " لنا سابقا معرفة بها"، أي معرفة نحوزها بشكل مسبق ولا نعمل سوى على التعرف عليها. الرياضي حسب هذا التحديد هو "ما نعرفه مسبقا باعتباره ما يدخل في خاصية الأشياء. إنه ليس إذن ما نبدأ بفصله عن الأشياء، بل ما نحمله فينا على نحو مسبق بكيفية ما »[16]. و بهذا تكون الرياضيات إمتلاك لـهذه المعرفة المودعة فينا على نحو مسبق . وعليه يمكن الحديث عن سيطرة الطابع المنهجي على العلم أو أسبقية المنهج بالنسبة للشيء، و لابد أن الهجمة الشرسة التي وجهها هوسرل للرياضيات كان من أجل محاربة التقنية التي يكرسها المنهج الرياضي« لكن الأهم من هذا كله هو أن الدلالة الجديدة التي ستقترن إبتداء من الآن بالذاتية وبالموضوعية لن تجد شروط تحققها إلا على أسس الرياضيات؛ وهي لا تفهم داخل تاريخ الوجود، كما يوضح هيدجر، ما لم تربط بالأساس الرياضي، ذلك لأن سعي ديكارت إلى تجذير الفلسفة على أسس الرياضيات لم يكن إلا تدعيما لفلسفة الذاتية. وبما أن الذاتية لاتتصور إلا في إرتباط بالموضوعية، فإن إنبهار ديكارت بالرياضيات لن يكون سوى علامة على إقراره بالنـزعة الموضوعية»[17]

إن ما يهم بالأساس بالنسة لهوسرل هو رصد المعنى التاريخي العميق الذي جسدته الفيزياء الغاليلية. ولذلك سيقول في (**أزمة العلوم الأوروبية**) بأن قضيته المحورية هي تسليط الضوء على الفيزياء الغاليلية باعتبارها قد ساهمت على نحو أصيل في تجديد الفلسفة الحديثة،« تقترن هيمنة النـزعة الموضوعية عند هيدجر بأمرين إثنين لا يشكلان في النـهاية سوى صورتين لمشهد واحد : الأمر الأول يتمثل في سيادة النـزعة الذاتية؛ أما الأمر الثاني فيتعلق بسيطرة التقنية. ولعل الذي يشهد على إلتحام هذين العنصرين هو تأكيد هيدجر في أكثر من مناسبة بأن الطبيعة لا تظهر في عصر التقنية الحديثة إلا وفق **إرادة** الإنسان، أي أن أمر ظهورها أصبح يتوقف كلية على هذه "الذاتية" التي جعل منها ديكارت منطلقا أوليا لبناء ركائز فلسفة جديدة»[18]. إن التقنية الحديثة هي الميزة الرئيسية للفلسفة الحديثة و العلاقة التي تجمع بين النزعة الموضوعية و الذاتية يجب أن تستمد معناها من هذه التقنية وكل فصل قد يجردها من معناها الفعلي«أليس لذلك كله ظل هيدجر يرى في النـزعة الذاتية مظهرا آخر لسيطرة الإنسان على الطبيعة، فكيفما كان الحال " نحن لانفكر أبدا بما فيه الكفاية أن "الذاتية" الحديثة لوحدها بالضبط هي التي إكتشفت الموجود وجعلته في المتناول وقابلا

[15] - المرجع نفسه ،ص9
[16] - أردلان جمال، نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل و هيدجر، المرجع السابق ،ص9
[17] - المرجع نفسه ،ص9
[18] - أردلان جمال، نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل و هيدجر، المرجع السابق ،ص10

للتحكم فيه في مجموعه، وأنـها بـهذا قد سمحت بوجود مطالب وصور للسيادة ما كان بإمكان العصر الوسيط أن يعرفها ولا أيضا للحركة الهيلنية أن تجعلها ضمن محيط اهتمامها»[19].

ويرجع هوسرل أسباب التحول العلمي الذي قامت عليه النـزعة الموضوعية إلى عامل رئيسي يتمثل في صياغة الطبيعة صياغة رياضية وهي نفس الرؤية التي تبناها هيدجر« وهكذا فعندما يردد هيدجر، في أكثر من مناسبة، عبارة ماكس بلانك التي يقول فيها : "الواقعي هو ما نستطيع قياسية"، كان لا يعمل بذلك سوى على تنبيهنا إلى الأهمية التي أصبح يحظى بها المنهج منذ العصر الحديث. فمنذ الفيزياء الغاليلية إلى يومنا هذا ستؤخذ الطبيعة ككموم قابلة للقياس والحساب»[20]

وهكذا مباشرة إبتدأ مع غاليليه درس الطبيعة التي تممت امثلتها ،محل الطبيعة قبل العلمية ، ليبقى مخفيا على غاليلي أنّ معنى تطبيق الهندسة يحتوي على اشكاليات معقدة. نظرا لان تطبيق الرياضيات يتطلب إشباع هذه الأخيرة بالصفات والإنقسامات اللانهائية للظواهر المعطاة ، ولكنها تترك الصفة المؤمثلة للأشكال لتكمل بنفس الخطوة.[21]

مختزلة بذلك الصفات الحسية اللانهائية المنجزة في عالم الحسّ، فإرادة الاختزال هذه تمت للوصول إلى التحديد التام والكلي للأشكال المكانية ،بحيث يتم قطع المسلسل اللانهائي للإمكانيات ،ومن ثمة يمكن عقلنة التموضع ،وترسيم الحدود وهكذا فشمولية العالم المحسوس للأجسام توجد مشحونة بلا نهائيات، ليست لا نهائيات الشكل فحسب، بل بلا نهائيات في الإشباع أيضا بالنسبة للرياضيات المجردة .وهذا هو التصور السائد الذي وقع غاليلي ضحية له ".[22]

إن النزعة الوضعية لديها علاقة مباشرة مع الرياضيات ، ويتضح أن مقاربة هوسرل للفكر العلمي الحديث تشبه إلى حد بعيد مقارنة ألكسندر كويري* A.Koyré للفيزياء الحديثة. فكلاهما يرى أن الثورة العلمية في القرن السابع عشر ترجع إلى "ترييض" الطبيعة وإلى إقحام مفهوم اللانهاية. ويضيف كويري في أغلب كتاباته الإبستمولوجية بأن هذه الثورة تجاوزت مظهرين اثنين :

أولا، تحطيم الكوسموس الإغريقي الذي يفترض التراتب والتناهي، وإحلال مفهوم العالم اللامتناهي . ثانيا، تعميم الهندسة الاقليدية أدى الى القضاء عل مفهوم المكان

---

[19] - المرجع نفسه ،ص10

[20] - أردلان جمال، نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل و هيدجر، المرحع السابق ،ص12

[21] - Husserl, E : La Crise des sciences. ibid, p 45.

[22] - ibid p 45.

*- **ألكسندر كويري**(Alexandre Koyré) ، 1892-1964 ، مؤرخ فرنسي من أصل روسي يهتم بالفلسفة والعلوم، تتلمذ في الرياضيات على هلبرت وفي الفلسفة والمنطق على هوسلو ومن مؤلفاته العلمية والفلسفية "مقدمة إلى قراءة أفلاطون " "دراسات في تاريخ الفكر الفلسفي"دراسات نيوتنية" "دراسات في تاريخ الفكر العلمي" "دراسات غاليلية "

ينبغي أن نشير إلى أن ألكسندر كويري كان "فينومينولوجيا" في كثير من مواقفه، والمقام لا يتسع هنا للوقوف على هذه المظاهر الفينومينولوجية التي لازمت أغلب محاور تفكيره، بقي أن نلاحظ من جهة أخرى أن اسم كويري لم يكن مجهولا لدى هوسرل، فهو يحيل عليه بشكل مباشر في (التأملات الديكارتية**، فقرة 20).

الارسطي ليحل محله المكان الرياضي، الأمر الذي أدى إلى نزع الغائية عن العالم التي رافقته على إمتداد الكوسمولوجيا الأرسطية[23].

أزمة العلوم الأوروبية وأصل الهندسة"نصين أساسين لفهم وإعادة تقييم فينومينولوجيا هوسرل أعتقد أنّ تاريخ الفينومينولوجيا خاصة في الستينات يصادف على الأقل المحاولات العديدة لقراءة وإعادة قراءة المشاكل التي تقدم في مؤلف الأزمة. ومن بين هذه المحاولات، هناك مكانة من النوعية الأولى في صفحات دير يدا وخاصة في إصداره الخاص به وخاصة التعليق الذي قدمه حول الملحق الثالث في كتاب الأزمة [24] .

إن التاريخ الذي يعرضه هوسرل في (أزمة العلوم الأوروبية) يربط الحداثة بالصراع بين هذين الموقفين : فمنذ أن تأسست " نظرية المعرفة" والصراع محتدم في تقديره بين فلسفة تضع "حقيقة موضوعية" فوق العالم لتسمو بها إلى أعلى مراتب المثالية، وبين فلسفة تقيم المعرفة والعالم على أسس ذاتية ترنسندنتالية .

يسعى هوسرل في كتاب الأزمة وبالخصوص في القسم الثاني المعنون ب"إيضاح أصل التعارض بين النزعة الموضوعية والذاتية الترنسندنتالية "إلى إعطاء معنى جديد للذاتية المتعالية «إن تاريخ الفلسفة كله منذ ظهور "نظرية المعرفة " و المحاولات الجدية لفلسفة ترنسدنتالية هو تاريخ التوترات الشديدة بين الفلسفة ذات النزعة الموضوعية و الفلسفة الترنسدنتالية ، تاريخ المحاولات الدائمة للمحافظة على النزعة الموضوعية و بنائها في شكل جديد ، و من جهة أخرى محاولات النزعة الترنسدنتالية للتغلب على الصعوبات التي ترتبط بفكرة الترنسدنتالية و المنهج الذي تقتضيه . إن إيضاح أصل هذا الإنشطار الداخلي للتطور الفلسفي و تحليل الحوافز الأخيرة لهذا التحول الجذري لفكرة الفلسفة له أهمية كبرى» [25]ولابد أن إلتفاتت هوسرل المتأخرة في الأزمة إلى توضيح الفرق بين النزعة الموضوعية والذاتية الترنسندنتالية يدل على قيمة هذا الفرق كما سنوضح لاحقا «لكن هنا يهددنا الخلف مسبقا ، لأنه يظهر في البداية كأمر تلقائي أن هذه الذاتية هي الإنسان ، أي هي الذاتية السيكولوجية. تحتج النزعة الترنسدنتالية الناضجة ضد المثالية السيكولوجية و تطمح معارضة إعتبار العلم الموضوعي فلسفة إلى إرساء علمية من نوع جديد تماما ، كعملية ترنسدنتالية . لم تكن الفلسفة الماضية تعرف شيئا عن نزعة ذاتية من هذا الأسلوب الترنسدنتالي . لم تكن هناك حوافز فعالة من شأنها أن تؤدي لتغير مواز في الموقف ، رغم أنه كان من الممكن تصوره إنطلاقا من الريبية االقديمة و بالذات من نزعتها النسبية الأنتروبولوجية»[26]

العالم كما تعبر عنه وتتمثله القوانين والنظريات والعلاقات الرياضية، والذي يتميز بدقته وموضوعيته، سيعتبر هو العالم الحقيقي، رغم أنه في الأصل ليس سوى بناء نظري رياضي، تم إنتاجه بفضل ممارسة خاصة هي الممارسة النظرية العلمية. أما عالم عيشنا

[23] - أردلان جمال، نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل و هيدجر، المرجع السابق،ص3
[24] -Paolo SPINICCI, « Forme Géométrique et Formes Intuitives. ibid .p149

[25] - ادموند هوسرل ,أزمة العلوم الأروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية,المصدر السابق ،ص132
[26] - المصدر نفسه ،ص131-132

اليومي، عالم التجربة المباشرة، فسيعتبر مجرد تعبير تقريبي ذاتي-نسبي يشوه بهذا القدر أو ذاك العالم "الحقيقي". إنّ لباس الأفكار الذي هو "الرياضيات وعلم الطبيعة الرياضي أو أيضا لباس الرموز، لباس النظريات الرمزية- الرياضية، يشمل "كطبيعة واقعية موضوعية"، ويغلفه بتنكر. هذا اللباس من الأفكار يجعلنا نضفي وجودا حقيقيا على ما هو مجرد منهج- المنهج الذي ليس موجودا إلا من أجل تحسين التنبؤات الفضفاضة، التي هي وحدها ممكنة أصليا في مجال التجربة الفعلية والممكنة في عالم العيش، وتعويضها بتنبؤات "علمية" في مسلسل لا متناه: إضفاء لباس الأفكار التنكري أدى إلى أنّ المعنى الحق للمنهج، للصيغ، للنظريات" بقي غير مفهوم، وإلى أنه لم يفهم أبدا عند النشأة الساذجة للمنهج.[27]

هذه هي الفكرة الأساسية للنزعة الموضوعية الحديثة التي يعتبرها هوسرل مسؤولة عن أزمة المعنى والتوجه في العالم الراهن. هذه ملاحظة مهمة ولو أنها مبتذلة جدا، لكن هذا الإبتذال تمّ بالذات طمسه من قبل العلم الدقيق ومنذ الهندسة القديمة، وذلك لضبط بواسطة دس الإنجاز المنهجي للإمثال محل ما هو معطى مباشرة بصفته الواقع الذي يفترضه كل إمثال، معطى في تأكيد لا يمكن مجاوزته من حيث نوعه. هذا العالم الحدسي فعليا، عالم التجربة الفعلية والممكنة.[28]

يصر هوسرل على أن هذا التأويل للعلم خاطئ، ويرجع نشأته إلى أن جاليلي وعلماء الطبيعة من بعده لم يقوموا بمجهود جدي للتفكير في الافتراضات المسبقة التي إنطلقوا منها. ولهذا وقعوا ضحية تحريفات وتقنيعات. وسيكون على هوسرل أن يبرز هذه الإفتراضات المسبقة وكذا التحريفات والتقنيعات التي ارتبطت بها. إنّ غاليليه الذي إكتشف- أو حتى ننصف الممهدين له: الذي أكمل اكتشاف- الفيزياء، وبالنتيجة الطبيعة الفيزيائية، هو عبقري في الإكتشاف والإخفاء معا، فقد اكتشف الطبيعة الرياضية، أي الفكرة المنهجية، وفتح الطريق أمام عدد لا متناه من المكتشفين والإكتشافات في مجال الفيزياء. إكتشف في مقابل السببية الشاملة للعالم الحدسي (بصفتها صورة هذا العالم اللا متغيرة) ما يسمى منذ ذاك دون تردد القانون السببي، "الصورة القبلية" للعالم "الحقيقي" (المثالي الرياضي)، "قانون القانونية الدقيقة"" الذي يجب حسبه أن يخضع كل حادث في "الطبيعة"- المثالية- لقوانين دقيقة. هذا كله إكتشاف إخفاء، ونحن نعتبر ذلك إلى اليوم حقيقة محضة.[29]

لكن كل هذه الأسئلة المتعلقة بالإنسان تقصيها العلوم الوضعية، حتى تلك العلوم التي تدرس الإنسان في وجوده التاريخي. وهي تقصي هذه الأسئلة بحكم تقيّدها بما تسميه "موضوعية" وما يحدد منهج علميتها بأكمله.[30]

---

[27]- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية الفينومينولوجيا المتعالية ، مصدرسابق، ص 108-109.
[28]- المصدر نفسه ، ص 107.
[29]- إدموند هوسرل، ،أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق ، ص 110.
[30]- المصدر نفسه ، ص 473.

من جهة أخرى يرتبط نقد النـزعة الموضوعية بنقد النـزعة الطبيعية Naturalisme، فلقد تصدى هوسرل للنـزعة الطبيعية منذ (أبحاثه المنطقية) مبينا حدودها وعواقبها الوخيمة على كثير من العلوم. وإذا تبين لمتتبع الإنعطافات التي عرفتها (الفلسفة كعلم صارم)، فلأن هوسرل ظل يقدر خطورة النـزعة الطبيعية ويعي إكتساحها لعديد من الآفاق إنّ أزمة علم ما لا تعني سوى أنّ علميته الحقة، أي الكيفية التي حدّد بها مهمته وأنشأ بها المنهجية الكفيلة بإنجاز هذه المهمة، أصبحت بأكملها موضع سؤال.[31]

تتجلى أزمة العلوم، حسب هوسرل، في إقصائها للأسئلة الأساسية والحاسمة بالنسبة للوجود البشري كله، تلك الأسئلة التي تتعلق بمعنى الوجود البشري أو لا معناه، التي تتعلق بالعقل واللاعقل، والتي تتعلق بسلوك الإنسان إزاء المحيط البشري وغير البشري، وبحريته في أن يشكل محيطه حسب معايير العقل. إن علوم الطبيعة لا تطرح هذه الأسئلة، لأنها تقوم على إستبعاد كل ما هو ذاتي. أما العلوم الإنسانية، التي عليها أن تهتم بالوجود الروحي للإنسان في تاريخيته، فإن علميتها الصارمة تفرض على الباحث أن يتجنب إتخاذ أي موقف، أو إصدار أي حكم قيمة حول القضايا الحاسمة بالنسبة للإنسان؛ فالعلمية تقتضي، حسب المنظور السائد الإقتصار على مراقبة الوقائع وتسجيلها، سواء كانت هذه الوقائع متعلقة بالعالم الفيزيائي أو الروحي. وواضح أن إبعاد الأسئلة الأساسية بالنسبة للوجود البشري من مجال العلم، يجعل العلوم الحديثة عاجزة عن مساعدة الإنسان في إعطاء معنى لوجوده وفعله، وعن توجيه حياته الفكرية والعلمية. ومنهج التعليق (Epoché)* وحده المحكوم والمتواصل في الردّ (Réduction) يسمح بجريان كل معنى وكل حقيقة ممكنة. ونراه يمارس الدفع إلى غاية الأطراف القصوى الشعور النسقي المتواصل، المؤدي إلى "الأنا المفتكر" الديكارتي في جذرانية الذاتية المتعالية، متجاوزا الإمبريقية الطبيعية لـ لوك بفضل انكشاف الجوهر الخاص للتجربة السيكولوجية، والهوة، التي قدمها كانط في داخل الذات بين الشعور بالذات والمعرفة بالذات.

إن أزمة العلوم الحديثة تتجلى في تشتتها، الذي يرجع بالأساس إلى استقلالها عن الفلسفة. وهكذا فإن أزمة العلوم الحديثة هي، في نفس الآن، أزمة الفلسفة الحديثة[32]. إن الفلسفة لا يمكن أن تحقق مهمتها ومعناها الأصليين إلا إذا كانت تحتضن كل العلوم الجزئية. هذا هو المعنى الأصلي الذي إتخذته الفلسفة منذ نشأتها الأولى في اليونان القديمة، والذي تم في عصر النهضة إحياؤه من جديد والعمل على تحقيقه. ورغم ما يبدو في ذلك من مفارقة ظاهرية، . إن الرغبة في التفلسف ليست، حسب هوسرل، سوى الرغبة في أن نوجه حياتنا حسب معايير العقل وباستقلال عن كل المسبقات. أن نعيش

---

[31]- المصدر نفسه ، ص 471

[32]-إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق،.ص 514-515.

*وقف ظهوري (Epoché) : مفردة يونانية تدل على الوقف والتعليق، استعملها هوسرل ليدل على "الوضع خارج اللعبة" أو على وقف المواقف الطبيعية التي نتخذها من العالم الموضوعي؛ وعلى موقوفية الروابط تعليق الروابط التي تربطنا بالعالم عبر اختبار المعيوش. ويتميز عن وقف ديكارت كونه لا يتساءل عن وجود العالم الخارجي، إذ أنّ العالم هذا موضوع بين قوسين (...)، لا أكثر. فالوقف هو التراجع الذي يقوم به الفاعل ليكشف طبيعة العلاقة القصدية التي تربطه بالعالم. عبده الحلو :معجم المصطلحات الفلسفية مرجع سابق ص457

فلسفيا، يعني أن نوجه حياتنا كلها حسب مبادئ ومقتضيات مستمدة من التفكير العقلي المتحرر من إسار التقليد والعادة. بقيت الفلسفة الترنسندنتالية حية في دوائر صغيرة مقابل النزعة الوضعية رغم أنها كانت عاجزة، بسبب ضعفها المنهجي وشحوب ثقتها بذاتها، عن أن تطبع الروح العام بكيفية فعّالة. وهناك كان الأمل لايزال قائما، إذا ما كان ثمة أمل أصلا، للمحافظة على البشرية الأوروبية الحديثة، ولتبرير رد فعلها ضدّ العصر الوسيط، وذلك إذا تسنى تخطي القصور المنهجي الذي يطبع كل أشكال المثالية الترنسندنتالية؛ أي إذا تسنى أن نعطيها، بفضل إصلاح جذري لمنهجها، وجها جديدا تماما وأن نضع، بدل المعنى العميق الغامض، علما نسقيا أوليا يبنى تحليليا من الأدنى إلى الأعلى، ويستجيب للمطالب العلمية العليا.هذا الإصلاح يجب أن يتأسس في تعمق جذري على المعنى الأساسي والحق للتحول الترنسندنتالي، وعلى البداهة التي تمنحه مشروعية خالدة، والتي تتمثل في أنه الإمكانية الوحيدة لبناء فلسفة شاملة موّحدة لها معنى بواسطة عمل منجّز جذريا.[33]

لقد ذكرنا من ذي قبل أن الكيفية التي نوقشت بها النـزعة الموضوعية تطلبت ربطها بمشكلة التقنية. والواقع أن هناك أكثر من وشائج بين هذه النـزعة وبين سيادة التقنية في العصور الحديثة، ذلك لأن تحويل الطبيعة إلى "موضوعات مثالية" لا يمكن أن يتم إلا في حقل تسطير فيه التقنية. والحال أن ما يسميه هوسرل بالصياغة التقنية لم تعد عملية حكرا على "الرياضيات الشمولية" أو على المنهج الجبري لوحدهما بل أصبحت مفعولاتـها تمتد بعيدا لتشمل كل الطرائق المستخدمة في علوم الطبيعة، لا فقط لأن هذه الطرائق أصبحت تنحو منحى "ميكانيكا" وإنما أيضا لأن ماهية المنهج ما فتئت تربط بين تحقق هذا الأخير وبين الميل نحو الصياغة التقنية*. وهكذا سيبدو جليا أن المنهج في العلوم الحديثة يتطابق على نحو تام مع التقنية. لا نقصد فقط أنّ هذه المناهج إتخذت فيما بعد طابعا "ميكانيكيا". إنّ كل منهج يميل بمقتضى ماهيته إلى أن يتخذ مع تقنّنته طابعا سطحيا*. هكذا خضع إذن علم الطبيعة عدة مرات إلى تحويل وحجب للمعنى.[34]
لنقف مرة أخرى عند دلالات هذه الصياغة الرياضية التي إتخذتها الطبيعة في الفيزياء الغاليلية، فنحن سنتبين لا محالة ترابطا كبيرا بين الإعتلاء بالطبيعة في سماء "الموضوعات المثالية" وبين توسيع دائرة "الرياضيات الشمولية" لتغدو منهجا عاما وكليا. الظاهر إذن أن هناك علاقة وطيدة بين تحويل الطبيعة إلى كموم ومقادير رياضية وبين تعميم التقنية؛ هذه العلاقة هي من القوة بحيث إن الطبيعة لم تعد تظهر إلا وفق القواعد التي يرسمها**المنهج**، أي وفق الكيفيات التي تحددها التقنية.

---

[33]- إدموند هوسرل، " أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق، ص 478.

*- التقنية هنا يقصد بها هوسرل المنهج الاكسيوماتيكي المتبع في الرياضيات و الذي هو عبارة عن طريقة آلية أقصت بالمقابل عملية التفكير و التأمل

[34]- إدموند هوسرل، " أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق، ص 102-103.

*اتخذ طابعا خارجيا أي سطحيا: كل منهج يتجه إلى أن يتخذ طابعا تقنيا، وبالنتيجة سطحيا، أي إلى أن يمارس بمقتضى العادة دون استحضار المعنى الأصلي الذي يدين له بوجوده والذي منح له عند تدشينه.

.

إذا كانت المهمة التجريبية والضيقة جدا للممارسة التقنية قد حفزت في الأصل مهمة الهندسة الخالصة، فإنّ الهندسة كهندسة "مطبّقة" كانت قد أصبحت بعد ذلك، ومنذ مدة طويلة، وسيلة للتقنية وموجها لها في تصور وإنجاز مهمتها التي تكمن في إنشاء نسقي لمنهج للقياس يساعد على التحديد الموضوعي للأشكال، وذلك في تقدم مستمر يتخذ شكل اقتراب (Approximation) من المثاليات الهندسية، من الأشكال و الحدود.[35]

إنّ معنى هذه الصيغ يكمن في مثاليات، في حين أنّ كل الإنجاز الشاق باتجاهها هو مجرد طريق نحو هدف. وهنا يجب أن نأخذ بعين الإعتبار تأثير تقنّة العمل الفكري الرياضي الصوري التي وصفناها سابقا: تحوله من تفكير يجرب ويكتشف، ويصوغ نظريات تركيبية أحيانا في عبقرية بالغة إلى تفكير بمفاهيم محوّرة، بمفاهيم "رمزية". بذلك يصبح التفكير الهندسي المحض أيضا فارغا، وعند تطبيقه على الطبيعة الواقعية يصبح أيضا تفكير علم الطبيعة فارغا. علاوة على ذلك، تتمكن التقنّنة من كل المناهج الأخرى الخاصة بعلم الطبيعة. كل التفاعل بين الفيزياء التجريبية والفيزياء الرياضية وكذا العمل الفكري لجبار الذي لازال ينجز هنا بالفعل يجري في أفق متحول للمعنى.

أكيد أنّ المرء هنا يعي إلى حد ما الفرق بين الفن* (Téchne) والعلم، لكنّ التمعن الإرتدادي في المعنى الحق للطبيعة الذي يجب الحصول عليه بواسطة المنهج الذي له طابع الفن توقف منذ وقت جد مبكر. إنه لم يبلغ إلى مدى يسمح له حتى بإمكانية الرجوع إلى فكرة ترييض الطبيعة التي ارتسمت إنطلاقا من التأمل الغاليلي الخلاق، أي إلى ما أراده غاليليه وخلفه من هذه الفكرة وما أعطى معنى للعمل الذي حققوه.[36]

بهذه الملاحظات الأخيرة يبرز هوسرل العلاقة العميقة والمعقدة بين العلوم الحديثة وعالم العيش، وهذا ما يؤكد خطورة نسيان هذه العلوم لعالم العيش. إن هذه العلوم، بنسيانها لعالم العيش، تنسى أساسها الحقيقي وتغترب عنه، مما سيترتب عنه عواقب حاسمة بالنسبة للعلوم والفلسفة، بل والثقافة الأوربية بأكملها. هذا النسيان سيتعمق أكثر مع إضفاء الطابع الصوري الرمزي على الهندسة، ومن خلال ذلك، على علوم الطبيعة.

سبق أن رأينا أن القوانين تحتل، بسبب فائدتها العملية، مركزا أساسيا في علم الطبيعة، بحيث أن مهمة عالم الطبيعة أصبحت تتلخص في إنتاج قوانين جديدة. ومع تطور علم الجبر والرياضيات عموما ستحول هذا العمل إلى عمل تقني يشتغل على رموز ويستعمل قواعد صورية للتفكير. ومع ذلك فقد كانت تكمن في اندفاع هذا التطور سذاجة خفية غطت الاستحالة الداخلية لكل مسعى نحو علم شامل في هذا الأسلوب. أصبحت هذه

[35]- إدموند هوسرل، " أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق، ص 75.
[36]- إدموند هوسرل، " أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق ، ص 102-103..
*فن (Téchne): يستعمل هوسرل هذه الكلمة اليونانية بمعناها الأصلي، أي بمعنى المعرفة العملية التي توجه الصانع أو الحرفي والتي تتجلى في ألفة الصانع مع موضوعاته و درايته بها، مما يسمح بنوع من المهارة في إنتاج الأشياء التي يريد إنتاجها.

الاستحالة محسوسة، وإن كان ذلك بكيفية غامضة.[37]وبذلك يصبح التفكير العلمي شبيها بالنشاط التقني-الحرفي الذي يقوم على العادة والتمرن أكثر مما يقوم على التأمل والابتكار

هكذا يبين هوسرل أن العلاقة بين العلم والتقنية هي أعمق مما يعتقد عادة، فالتقنية ليست مجرد تطبيق للعلم، بل إن الروح التقنية تسود العلم ذاته كمعرفة نظرية، بهذا تكون العلوم الحديثة في عمقها علوما تقنية. يرتبط الطابع التقني لهذه العلوم بطغيان الجانب المنهجي عليها. ويفهم المنهج هنا كمجموعة من القواعد والإجراءات التي يمكننا تطبيقها بمهارة من إحراز نجاحات واكتشافات مهمة، ولكن دون أن نعرف بالضرورة معناها وأسسها الأصلية، ودون أن نفهم المبدأ النظري الذي يؤسس هذه النجاحات والاكتشافات. يقول هوسرل: كل معرفة بالقوانين لا يمكن أن تكون إلا معرفة بتنبؤات، يجب إدراكها في انتظامها تتعلق بسير ظواهر التجربة الفعلية والممكنة، وهي تنبؤات ترتسم مسبقا أمامه مع توسيع التجربة بواسطة ملاحظات وتجاريب نسقية تنفذ إلى الآفاق المجهولة، ويتم تأكيدها في صورة استقراءات.[38] إن العلم تحول إلى تفكير قائم على العادة والمران، فهو بالحساب، يستطيع أن ينتج، بكل مهارة

إذ من المعروف أنّ البشرية الأوروبية أجريت على ذاتها تحوّلا ثوريا، فقد ثارت على كيفية وجودها الوسطوية القائمة إلى ذلك الحين ونزعت عنها تيمتها. كانت تريد أن تعيد تشكيل ذاتها بحرية، وكان المثل المثير لإعجابها هو البشرية القديمة، لهذا أرادت أن تحاكي كيفية وجودها. ما الذي إعتبرته أساسيا لدى الإنسان القديم؟ لا شيء سوى الشكل الفلسفي للوجود الذي يتمثل في أن يضع الإنسان بحرية لذاته ولحياته بأكملها قواعد انطلاقا من العقل المحض، للفلسفة. الفلسفة النظرية تحتل المكانة الأولى.[39]

إنّ الخطأ المبدئي /كان/ هو محاولة دراسة البشر والحيوانات تحت اسم الوقائع السيكو فيزيائية بكيفية طبيعية. كل هذه المحاولات الساذجة جدا التي قام بها رجال كبار لتحقيق السيكو فيزياء على الطريقة الهندسية، أي حسب القانونية الرياضية، فشلت. لكن هذه الواقعية بقيت غير مفهومة لأنّ المرء لم يتأمل أبدا جدّيا النوعية المنهجية لعلوم الطبيعة التي أراد أن يحاكيها. من هنا نشأ التوازي الخاطئ بين التجربة الداخلية والخارجية.[40]. يجب أن يتبيّن في مسار جيل بشري واحد هل انقلبت دعائم حياة الأوروبي بكيفية نهائية، هل تخلى فعليا عن ماهيته الخاصة، أم أنّ الاتجاه العام نحو القوى اللا عقلانية ليس سوى عرض لعياء عميق. وهذا ما ينطوي في ذاته على أمل لازال ممكنا في تأسيس جديد لثقافة مستقلة حقا، أي فلسفية، بفضل تجذير التمعن الذاتي.[41]

---

[37]- إدموند هوسرل، " أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق، ص 480.

[38]- المصدر نفسه ، ص 106.

[39]- إدموند هوسرل، ،أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندنتالية ، مصدر سابق ، ص 479.

[40]- المصدر نفسه ، ص 496.

[41]- المصدر نفسه ، ص 496

إنّ أساس أزمة العلوم هي أزمة الفهم الذاتي للإنسان, لا يمكن تجاوز هذه الأزمة إلا بتعميق الفهم الذاتي للإنسان. كان يجب إذن أن نبرز كيف أنه في الفلسفة الترنسندنتالية التأملية عبرت عن ذاتها بإلحاح معرفة غامضة مليئة بالتخمين بعمق لحياة الذات لا يمكن كشفه في الموقف الموضوعي.

وهكذا يمكن الآن للفنومينولوجيا أن تعبر عن المعرفة الترنسندنتالية الجديدة عن الإنسان في الكلمات الفخورة القديمة: الإنسان مقياس كل الأشياء.

المصادر:

إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية و الفينومينولوجيا االترنسندتالية، ترجمة إسماعيل مصد ق المنظمة العربية للترجمة ، لبنان.2008

Les sources

Edmund Husserl, « La crise des sciences Européennes et la phénoménologie transcendantale, Traduit par Gérard Granel, France : Edition Gallimard, 1976

Husserl, E : Expérience et Jugement, Trad. Denise Souche- Dagues, P.U.F. Paris, 1970, 1ére Edi. Collection Epiméthée,

Husserl, E : l'Origine de la Géométrie, Trad. & Intro. Derrida, Jacques, P.U.F, Paris, 1990, 3éme Ed. Collection Epiméthéer

LES REFERENCES

Paolo SPINICCI, « Forme Géométrique et Formes Intuitives : Considération sur l'origine de la Géométrie de Hursserl », Le cahier d'histoire de la Philosophie, Husserl sous la direction de Jouslyn Benoist

المقالات:

أردلان جمال' نقد النـزعة الموضوعية (أو في مسألة التقنية) : بين هوسرل وهيدجر http://www.aljabriabed.net/n04_08ardalan.htm

المعاجم الفلسفية:

د.عبده الحلو :معجم المصطلحات الفلسفية ، المركز التربوي للبحوث والإنماء، ط 1،بيروت،1994 .